سلسلة قراءات في كتاب (6)

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

عبد الله علي إبراهيم

تقديم وتحرير

حاتم الصديق محمد أحمد

الطبعة الأولى
2025م

سلسلة قراءات في كتاب (6)

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

عبد الله علي إبراهيم

تقديم وتحرير

حاتم الصديق محمد أحمد

الطبعة الأولى
2025م

قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني

عبد الله علي إبراهيم

تقديم وتحرير

حاتم الصديق محمد أحمد

الإيداع القانوني

...../2025م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الأولى – 2025م
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(سورة النمل: الآية 30)

تصدير

يعد هذا الكتاب من الأعمال التاريخية والفكرية الفارقة في الدراسات السودانية، وهو في أصله رسالة ماجستير للبروفيسور عبد الله علي إبراهيم، وجدت الإشادة من المناقشين والمختصين والباحثين والمهتمين، وقد أوضحت المجهود الكبير الذي قام به المؤلف وهو في خلاصته منتوج علمي غير عادي، وهو فتح جديد في مسار الدراسات التاريخية...

البروفيسور/ إدريس سالم الحسن

المحتويات

الموضــوع	الصفحة
تقديم	9
المقدمة	11
قراءة (1) خالد محمد فرح	15
قراءة (2) عوض أحمد حسين شبّا	21
قراءة (3) صلاح التوم إبراهيم	27
قراءة (4) نبيل رابح آدم سعيد	33
قراءة (5) يسرية موسى أحمد	41
قراءة (6) عبد الناصر سعيد محمد البطاطي	47
قراءة (7) خالد باكر محمد إبراهيم	49

تقديم

يُعد مشروع سلسلة قراءات في أعمال المفكرين و المؤرخين والمختصين والباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية واحداً من المشروعات العلمية الرائدة التي انتهجتها وحدة الدراسات والبحوث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان، بالشراكة مع دار آريثيريا للنشر والتوزيع، وقد تصدى الدكتور عوض أحمد حسين شبّا نائب مدير المركز والمشرف العام على الوحدة لهذا العمل المضني والجديد في فكرته ومحتواه وذلك من خلال عمل سلسلة قراءات في إصدارات المؤرخ السوداني حاتم الصديق والتي وصل عدد أجزائها إلى ستة أجزاء شارك في إعدادها نخبة من الخبراء والمختصين والباحثين في مختلف التخصصات من ست دول هي: السودان، اليمن، ليبيا، موريتانيا، المغرب، وجمهورية مصر العربية. ولتطوير هذه التجربة العلمية المثمرة تم تناول أحد إصدارات المؤرخ والمفكر السوداني عبد الله علي إبراهيم من خلال كتابه «الصراع بين المهدي والعلماء»، والذي شارك في إعداد القراءة له كل من الدكتور خالد فرح، والدكتور عوض شبّا، والدكتور صلاح التوم إبراهيم، والدكتور نبيل رابح آدم سعيد، والدكتورة يسرية موسى أحمد، والدكتور عبد الناصر سعيد محمد البطاطي، والأستاذ خالد بابكر محمد إبراهيم. ومن خلال هذا العمل المهم نتقدم لهم بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان لمساهمتهم الفاعلة في إنجاز هذه القراءات التي نجحت في تسليط الضوء على العديد من الجوانب التي اشتمل عليها الكتاب.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يكلل هذا العمل بالنجاح وأن يكون نواة حقيقة للكثير من القراءات العلمية الرصينة في منتوج الخبراء والمختصين والباحثين داخل السودان وخارجه في مختلف ضروب المعرفة.

المحرر

مقدمة

يُعد البروفيسور عبد الله علي إبراهيم من أميز المفكرين والمؤرخين والباحثين والكتاب في عصرنا الحالي، وذلك من خلال منتوجه العلمي والفكري والمعرفي الذي اشتمل على العديد من ضروب المعرفة مثل التاريخ، والفكر، والقصة، والمسرح، والصحافة، والسياسة. واشتهر بكتاباته النقدية والأكاديمية والتاريخية، التي أسهمت بشكل كبير في مجالات الأدب والسياسة والتاريخ، وله العديد من المؤلفات والمقالات التي تسلط الضوء على القضايا التاريخية والاجتماعية والثقافية في السودان، كما يتميز بقدرته على تحليل الأحداث بطريقة عميقة ومفيدة.

ومن خلال هذا الكم المعرفي والمشوار الممتد بالتضحيات والجد والمثابرة يمكننا أن نطلق على البروفيسور عبد الله لقب المؤرخ الشامل الذي نجح طوال مسيرته العلمية والعملية في أن يصنع لنفسه وطلابه وحيرانه مدرسة خاصة به تميزت بالصرامة العلمية والجدية في الطرح والتناول الذي مكنه من التفرد على أبناء جيله من المؤرخين في محيطنا المحلي والإقليمي.

من خلال تتبع إنتاج البروفيسور عبد الله علي إبراهيم نجد أن هناك عدداً من العوامل والأسباب أسهمت في تفرد تجربته العلمية وقوة تأثيره على المختصين والباحثين والمهتمين ومن هذه العوامل: تنقله في العديد من المناطق داخل السودان وخارجه، تعدد مصادره المعرفية والعلمية والفكرية، عمله في معهد الدراسات الأفريقية في جامعة الخرطوم وترأسه لشعبة الفلكلور وأيضاً رئاسته لمجلة الدراسات الأفريقية وهي واحدة من أهم المجلات العلمية التي نجحت في التعريف بالسودان وتاريخه عبر حقب مختلفة، أضف إلى ذلك العمل الميداني

الذي ظهر في العديد من الدراسات التي تم نشرها داخل السودان وخارجه، كل تلك العوامل أسهمت في تميز وتفرد مدرسة عبدالله علي إبراهيم التاريخية والفكرية والتي أصبحت واحدة من المدارس العلمية التي يشار إليها بالبنان.

ونلحظ من خلال منتوج البروفيسور عبد الله الفكري أنه قد تنوعت مواعينه بين الأوراق العلمية والكتب، والمنتديات العلمية والمحاضرات واللقاءات الإذاعية والتلفزيونية، الأمر الذي يدل على تمكنه من مادته العلمية وقدرته الكبيرة على تقديمها وشرحها واتاحتها للمختصين والباحثين والمهتمين طوال سنوات من الجهد العلمي والمثابرة.

من الإصدارات التي رسخت في أذهان قراء ومتابعي البروفيسور عبد الله علي إبراهيم وتزينت بها مكتباتهم الورقية والإلكترونية كتب أدب الرباطاب الشعبي، بالاشتراك 1968، وكتاب الصراع بين المهدي والعلماء محور قراءتنا في هذا الكتاب، والذي طبعت طبعته الأولى في الخرطوم في العام 1968م، و الثانية في القاهرة 1994م، وأيضاً هناك تحقيق كتاب ذكريات عبد الكريم السيد عن ثورة 1924 بالسودان، بالخرطوم1970م، وتحقيق كتاب نسب الجعليين البالغ سيدنا عبد الله بن العباس لعبد الله الخبير، بالخرطوم 1981م، وأنس الكتب، دار جامعة الخرطوم للنشر،1985م،عبير الأمكنة، دار نسق بالخرطوم، 1988م،والثقافة والديمقراطية في السودان، القاهرة عن دار الأمين، 1996 و1999م، وكذلك فرسان كنجرت: ديوان نوراب الكبابيش وعلاقاتهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1999م، وكذلك كتاب الماركسية ومسألة اللغة في السودان، الخرطوم دار عزة للنشر 2001م، والإرهاق الخلاق: إستراتيجية للصلح القومي، الخرطوم دار عزة للنشر 2001م، والرق في السودان: نحو أنثروبولوجيا الخبر، القاهرة الدار العالمية للنشر، 2002م،

وأيضاً فيض الذاكرة: أحاديث في الأدب والثقافة مع الأستاذ عبد الله الشيخ البشير (بالاشتراك)، 2003م، وكتاب الشريعة والحداثة، القاهرة بدار الأمين، 2004م ، وهناك أيضا حركة وطنية سودانية أم حركات وطنية، تاريخ ما أهمله التاريخ عن جنوب السودان ، وأصوات أخرى في الحديقة ، التعليم والتراث في السودان، ثورة زنجبار 1964م هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطنون، وكتاب التعريب هذيان مانوي، وهذه الكتب الأربعة صدرت عن دار المصورات بالخرطوم وغيرها من إصدارات.

تأتي قراءة كتاب: «الصراع بين المهدي والعلماء» لتسليط الضوء على العديد من الجوانب في هذ السّفر القيم من خلال مختصين وباحثين مشهوداً لهم بسبر أغوار ومجاهل الكتب العلمية وهم: الدكتور خالد محمد فرح، والدكتور عوض أحمد حسين شبّا، والدكتور نبيل رابح، والدكتور عبد الناصر البطاطي، والدكتورة يسرية موسى أحمد، والأستاذ خالد بابكر محمد إبراهيم وذلك لكي يتم فتح الباب للمزيد من القراءات والدراسات والتحليل في منتوج البروفيسور عبد الله على إبراهيم بواسطة المختصين والباحثين والمهتمين بمنتوجه من داخل السودان وخارجه خدمة للبحث العلمي والباحثين على امتداد المعمورة.

ويمكن القول إن كتاب «الصراع بين المهدي والعلماء» كان له ما بعده من بحوث ودراسات أسهمت في تسليط الضوء على العديد من الجوانب في تاريخ المهدية وعلاقاتها الداخلية، وفي الوقت نفسه كان له كبير الأثر في كتابات البروفيسور عبد الله علي إبراهيم بعد ذلك.

حاتم الصديق محمد احمد

14 يونيو 2025م

قراءة

1

قراءة في كتاب: الصراع بين المهدي والعلماء
وقفة مع إسهام علماء كردفان خاصةً

كانت كردفان قبيل اندلاع الثورة المهدية 1881 - 1898م وإبان فترة حكم دولتها، تذخر بعدد معتبر من جلة العلماء والفقهاء والمتصوفة، ذوي الصيت الذائع والمكانة المرموقة والتأثير الكبير في داخل كردفان نفسها وخارجها. وقد شملت تلك الطائفة من أعلام كردفان في المجال التعليمي والإرشادي والدعوي، شخصيات مثل: الخليفة محمد ود دوليب الذي توفي عام 1882م، أي ابان ظهور المهدي وجهره بمهديته، وبعد منازلته لقوات الحكومة وانتصاره عليها في أبا، وقد خلفه ابنه الشيخ الدرديري 1849 - 1939م، الذي عاصر فترة المهدية كلها وما بعدها إلى أن توفي في آخر ثلاثينيات القرن العشرين. ومن تلك الشخصيات أيضاً المشايخ: محمد المكي بن السيد إسماعيل الولي، وكذلك أخوه السيد أحمد الأزهري بن إسماعيل الولي، والشيخ الكناني بدوي أبو صفية، والشيخ المنا إسماعيل « أبو البتول «، والشيخ محمد ود الزاكي، والشيخ السنوسي راجل أم حجر، والشيخ محمد ود الطفح، وغيرهم. أما في سلطنة تقلي وجنوب كردفان فقد شهدت ذات الفترة المعنية نشاط علماء أفذاذ مثل: القاضي ميرغني ود تميم، والعالم طه، والشيخ دفع الله ود بقوي، والشيخ حماد البيتي، وسوى هؤلاء.

لقد حرص الإمام المهدي في سبيل تهيئة المجتمع السوداني، وحشد قواه الحية والمؤثرة من أجل مساندة ثورته، على زيارة كردفان بالذات، والالتقاء بسائر قادتها وزعاماتها القبلية والمجتمعية والروحية. ويذكر المؤرخون والباحثون وغيرهم من أصحاب السير والأخبار في هذا المضمار شخصيات مثل: السيد المكي بن إسماعيل الولي، والخليفة ود سوار الذهب، والشيخ الكناني ود أبو صفية، والخليفة محمد ود دوليب، والشيخ موسى الأحمر، والشيخ المنا إسماعيل، والشيخ محمد ود الزاكي، والشيخ دفع الله ود بقوي وغيرهم. وفي ذات الإطار كتب الدكتور عوض عبد الهادي العطا ما نصه: « تجول المهدي في كثير من بقاع السودان، وفطن إلى بواعث سخط الجماهير، ولاحظ استياء الناس من الحكومة، ورغبتهم في التخلص منها. وكان المهدي قد زار ضمن زيارته لبقاع السودان، منطقة كردفان، وقد زارها مرتين وتعرف على شخصياتها الاجتماعية والدينية، زار في كردفان مناطق تقلي والأبيض وغيرها، ودخل في مناظرات فكرية مع رجالها؛ فقد ناظر مجلساً من علماء تقلي وهم: القاضي ميرغني، والعالم طه، والشيخ دفع الله ود بقوي، ولم يقتنعوا بآرائه حينذاك. ويبدو أن زيارته الأخيرة جاءت قبل إصدار منشوراته السرية بقليل، إذ أنه بعد رجوعه من كردفان، بدأ على الفور في تحرير خطاباته الصريحة إلى رجال الدين. «

وقد تميزت كردفان عن سائر أصقاع السودان آنئذ، بخلاف العاصمة الخرطوم، بأنها قد كانت مسرحاً لجدال فكري عميق حول مشروعية مهدية محمد أحمد المهدي نفسها بالتحديد، وهو ما لا نجد له انعكاساً مباشراً وصريحاً - على سبيل المثال - في كتاب عبد الله علي إبراهيم الموسوم ب « الصراع بين المهدي والعلماء «. ذلك بأنه، وإن كان قد عرض إلى مناظرة علماء تقلي الثلاثة المشهورين للمهدي وهم: القاضي ميرغني

ود تميم، والعالم طه، والشيخ دفع الله ود بقوي إلا أنه لم يشر مثلاً إلى مجادلة الشيخ محمد ود الزاكي للمهدي، كما إنه لم يشر إلى منظومة العَلَم الديني الكردفاني المرموق الخليفة محمد ود دوليب في الاستشراف المستقبلي لأحداث السودان، بما في ذلك المهدية، باعتبارها فصلاً قوي الدلالة، من فصول المعارضة الفكرية والمنازلة الروحية، ذات المضمون السياسي والعقدي لفكرة المهدية، فلعل المؤلف لم يكن على علم بذينك الموقفين حينئذ. وإلى جانب ذلك فإن المؤلف كأنه لم يعتبر معارضة السيد أحمد الأزهري بن إسماعيل الولي لمهدية المهدي، والتي فقد حياته بسببها، بوصفها تراثاً كردفانياً أيضاً.

أما بالنسبة لمجادلة الشيخ محمد ود الزاكي التجاني للمهدي، فتلخصها رواية سماعية واسعة الانتشار والتداول بين الناس في دار الريح خاصةً من كردفان، مفادها أن ود الزاكي قد صدع برأيه في المهدي أمامه قائلاً له: إنه يعتقد أنه يستطيع أن يهدي، ولكنه ليس هو المهدي المنتظر. وهو قوله له حرفياً كما تقول تلك الرواية: « انت بتهدي، لكن ماك المهدي! «. ويبدو أن نعوم شقير قد ألم بخبر اعتراض الشيخ محمد ود الزاكي ذاك على المهدي، إذ أنه أورد في كتابه المرجعي في تاريخ السودان ما نصه: « والشيخ محمد الزاكي من أقارب ود الزاكي المدفون على البحر الأبيض، قيل إنه كتب إلى المهدي يصرح له في الأمور التي خالف بها الشريعة واحدةً واحدة، وقال له: إني أكتب هذا إليك لمجرد النصح، فأملي أن تعمل فيه وتخفيه عن أصحابك لأنهم لو علموا به لقتلوني جهلاً. فإن أخفيته وحفظت هذه النصائح، فأنت جدير بذلك، وإن لم تخفه ولحقني شر بسببهن فأعده «كلمة حق عند ملك جائر». فأخفاه المهدي عن أصحابه، ولكن أباح به ود الزاكي لبعض أخصائه.

هـذا، وقـد أفـاد الخليفـة مجاهـد أحمـد النـور الزاكـي، حفيـد الشـيخ ود الزاكـي المذكـور هـذا الباحـث، بـأن جـده لمـا خشـي من مغبـة اعتراضه علـى المهدي، وهـو في أوج سـطوته آنئـذ في كردفـان، حملـه إليـاس باشـا أم بريـر هـو وأسـرته خوفـاً عليهـم بحكـم الجـوار والقرابـة، علـى قافلـة صغيـرة مـن الإبـل، فانطلقـت بهـم حتـى أوصلتهـم الـى منطقـة « أم قرفـة « بعيـداً مـن معاقـل أنصـار المهـدي.

د. خالد محمد فرح

سفير بوزارة الخارجية السودانية

13 يونيو 2025م

إحالات مرجعية:

(1) عوض عبد الهادي العطا، **تاريخ كردفان السياسي في المهدية**، المجلس القومي للآداب والفنون، الخرطوم، 1973م، ص 25.

(2) عبد الله علي إبراهيم، **الصراع بين المهدي والعلماء**، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، كراس رقم 3، 1966م، ص 14 و15، وانظر أيضا الهامش السفلي 3 بصفحة 15 من ذات المرجع.

(3) منظومة شعرية ظل يتداول متنها ويحفظه عدد من الناس في السودان وخصوصاً منتسبي الطريقة التجانية تحت مسمى «منظومة ود دوليب»، التي تنبأ فيها بالعديد من الوقائع والحوادث في تاريخ السودان. ومن ذلك قوله على سبيل المثال في حض رهطه وأتباعه على الهجرة إلى مصر بسبب فساد الأوضاع في السودان في عهده:

يا بَنيّ اسمعوا الوصية
وارتحلوا لمصرَ بالكلية
الإنجليز أمرهم أخفْ
وآخر الزمان كله أسف
واختلفوا في رابعِ القرونِ
أكاملٌ أم ناقصُ التكوينِ الخ
عنى بذلك القرن الرابع عشر الهجري.

(4) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم فدوى عبد الرحمن علي طه، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007م، ص 951.

(5) من حوار عبر تطبيق وتساب مع الخليفة مجاهد أحمد النور خلال عام 2023م.

قراءة

2

هل كان الإمام المهدي مصلحاً دينياً؟
(إتكاءة على كتاب الصراع بين المهدي والعلماء)

يُعد كتاب الصراع بين المهدي والعلماء من بواكير الجهود البحثية للدكتور عبد الله علي إبراهيم، التى نال بها مرتبة الشرف في التاريخ بجامعة الخرطوم عام 1966م، ولأهميته نشر في طبعته الأولى عام 1968م، ثم صدرت في طبعة ثانية عام 1994م مذيل ببحثه بعنوان (المهدية والكبابيش نحو مشروعية المعارضة) عن مركز الدراسات السودانية بالقاهرة، وهي الطبعة التى بين أيدينا.

أبرزت هذه الدراسة المقدرات البحثية والعلمية الكبيرة التى يتمتع بها الدكتور عبدالله على إبراهيم منذ بداية مشواره العلمي والتي أهلته حتى أصبح من الباحثين السودانيين المرموقين الذين يشار إليهم بالبنان. وقدمته للعلماء والباحثين، وقد ألمح لذلك في مقدمة الطبعة الثانية بقوله:"وزكاني إلى نفر كريم من الباحثين في شأن السودان والإسلام".

هذا الكتاب من البحوث المهمة التي تناولت الجوانب الفكرية لأحداث الثورة المهدية، ويناقش الصراع والجدل الفكري والديني بين الإمام المهدي والعلماء التقليديين خلال فترة الثورة المهدية (1881–1885م)، وتتبع أهمية الكتاب من كونه ناقش الأسس الدينية التي قامت عليها

فكـرة الثـورة المهديـة في السـودان واصطفـاف العلمـاء حولهـا بـين مؤيـد ومعـارض. ويتكـون الكتـاب مـن أربعـة فصـول علـى النحـو التالـي:

الفصل الأول: جذور طائفة العلماء.

الفصل الثاني: العلماء والنشاط المعادي للثورة المهدية.

الفصل الثالث: المناظرة الفكرية (أ) العلماء.

الفصل الرابع: المناظرة الفكرية (ب) المهدي.

إطلعـت علـى هـذا الكتـاب في طبعتـه الأولـى قبـل عـدة سـنوات أثنـاء إعـدادي لكتـاب (المهـدى في لبـب- أثـر المـكان في تكويـن الشـخصية القياديـة)، وعندمـا طـرح علـى فكـرة تقـديم قـراءة لهـذا الكتـاب ثـارت عنـدي نفـس الأسـئلة القديمـة حـول هـل كان الإمـام المهـدى مصلحـاً دينيـاً أم ثائـراً سياسـياً كمـا أشـار القـدال؟، وإذا كان مصلحـاً دينيـاً، ماهـي أهـم الأسـس التـي قـام عليهـا مشـروعه الإصلاحـي؟ والمكـون المعـرفي للإمـام المهـدى؟ وأثـر المـكان والبيئـة العلميـة التـى نشـأ فيهـا في توجهاتـه الإصلاحيـة؟ ووجـدت في هـذه الإتـكاءة علـى هـذه المـادة العلميـة الغنيـة للدكتـور عبـد الله علـى إبراهيـم سـانحة ومحاولـة أوليـة للإجابـة عـن هـذه الأسـئلة، لأن مـا نثـره الدكتـور عبـدالله علـى ابراهيـم في هـذا البحـث الـذي يتميـز بأسـلوب أكاديمـي رصـين، مـع الاعتمـاد علـى المصـادر التاريخيـة الموثوقـة والتحليـل العميـق ولغـة سلسـلة مشـوقة مكنتـه فيمـا بعـد مـن أن يصبـح كاتبـاً صحفيـاً ومحلـلاً سياسـياً شـهيراً اسـتخدم في ذلـك الـدرس التاريخـي وخلفيتـه الأكاديميـة مـادة مغريـة ومحفـزة لذلـك.

يُعـد الإمـام محمـد أحمـد بـن عبـد الله الـذي ولـد في جزيـرة لبـب جنـوب مدينـة دنقـلا (الأوردي) عـام 1843م مـن الشـخصيات المثيـرة للجـدل، خاصـة

فيما يتعلق بدوره كمصلح ديني. لجدة طرحه وطريقته العملية والمباشرة في الإصلاح، ويمكننا أن نميز أبرز ملامحها في دعوته للتجديد وبعث الدين من جديد من خلال طرح نفسه كمهدى منتظر ومجدد، والعودة إلى عصر النبوة والخلفاء الراشدين، ورفض المذاهب الفقهية إلى حد إلغائها باعتبارها مسؤولة عن تخلف المسلمين، واعتماد الحضرة النبوية مصدراً للأحكام والنوازل الفقهية، وتفسيره الشخصي للنصوص، وكذلك الدعوة لمحاربة فساد المجتمع وعلماء الدين ومنع الطرق الصوفية والبدع، والظواهر السالبة مثل الزواج المثلي وغيرها، كما ربط بين إصلاحه الديني والدعوة للتوحد لمحاربة الاستبداد والسلطة السياسية القمعية القائمة.

وجدت أطروحات الإمام المهدى الإصلاحية انتقادات كبيرة من فريق العلماء التى تركزت بصورة أساسية في تكذيب دعوته المهدية لهدم القاعدة الدينية التي أقام عليها دعوته الإصلاحية وأنه يسعي لإلغاء الاجتهاد والأسس الفقهية التقليدية المتوارثة والمعتمدة عند العلماء. إضافة لرفضهم لطرحه في محاربة السلطة مما دعاهم لطرح رأي مغاير يزعم بأن الدعوة المهدية في جوهرها ثورة سياسية، وتم استخدام الدين كوسيلة للتعبئة وسط البسطاء والعامة.

نجح الامام المهدي الي حد كبير في دحض حجج العلماء المناوئين له ووصفهم بالفساد وأنهم علماء سلطة وفي إقناع بعضهم للإيمان بدعوته والعدول عن معارضتهم، وربما كان للتأييد الكبير الذي وجده المهدي من السودانيين والالتفاف حول دعوته أثر في ذلك، مما يطرح تساؤلاً حول المكون المعرفي الذي امتلكه المهدي ومكنه طرح رؤيته الدعوية الإصلاحية.

من الواضح أن مكونه المعرفي كان يتألف من عدة عناصر مستمدة من مصادر متنوعة، منها التعليم التقليدي في الخلاوي، وتجربته الشخصية التأملية وكذلك الصوفية حيث التحق بالطريقة السمانية، فضلاً عن المؤثرات الدينية الصوفية والروحية والثقافية التى كانت سائدة في البيئة السودانية، فالدين يعد بصورة عامة أهم مكوّن وجداني للإنسان لأنه يمثل المبادئ والقيم والغايات التي يؤمن بها، وللدين أهمية كبرى ودور أساسي في شخصية الإنسان وطريقة تفكيره وسلوكه مع نفسه وتعامله مع الآخرين، ولما كانت منطقة لبب مكان ميلاد ونشأة المهدى من أهم المراكز الدينية في السودان في الفترتين الآمونية الوثنية والإسلامية، وكان لها أثرها الكبير في تكوينه الوجداني والنفسي، فقد اشتهرت منطقة لبب بأنها إحدى أهم المراكز الدينية في بلاد النوبة، منذ الاحتلال المصري (1500 ق م) ثم انتقل المركز الإداري والديني من الكوة بشرق النيل إلى غرب لبب بغرب النيل تدريجياً، وربما لعبت الظروف الطبيعية مثل زحف الرمال نحو النيل دوراً كبيراً في ذلك، حيث تشير البينات الأثرية إلى احتمالية الانتقال من الوثنية وذلك لضعف المواقع الأثرية المسيحية مقارنة بالآثار الإسلامية التي توفرت بشكل واضح وبكثافة كبيرة، مما يقود للاعتقاد بأن هذه المنطقة كانت إحدى أهم المراكز الإسلامية الأولى في بلاد السودان التي تسربت إليها المؤثرات الإسلامية منذ وقت مبكر .

نشأ محمد أحمد المهدي في أسرة دينية معروفة وهي أسرة الأشراف ثم انتقل إلى خلاوي الدفار، وواصل في دراسته الدينية بعد هجرته إلى أم درمان رغم محاولة أخوته منعه من التعليم ليمتهن التجارة معهم ولكنه أصر على موقفه وأبدى عزيمة التعليم، فإنصاع إخوته لرغبته. ثم انتقل شمالاً إلى خلاوي في بربر حوالي عام (1863-1864) وقضي بها ثلاث

سنوات من المعالم البارزة في حياته فهي مرحلة انتقالية هامة، في سبيل جهده للحصول على علوم عصره، وبرز فيها أفق حياته تدبراً وفكراً، وظهرت بعض ملامح الحدة والثورية في سيرته، ونلحظ ذلك في رواية تذكر أنه رفض الأكل مع الطلاب فى الخلوة واعتمد على جهده الخاص؛ وبعدها انتقل للشيخ محمد شريف أشهر زعيم ديني بين بربر، والخرطوم ولكنه سرعان ما اختلف مع شيخه لظهور بعض بوادر الترف والتجاوزات الشرعية في ختان أبنائه، وهنا نلاحظ أيضاً من أن محمد أحمد المهدي رغم احترامه لشيخه وتوقيره إلا أنه تصدى بكل قوة لما يراه مخالفاً للدين، وبرز جانب آخر من شخصيته وهو اعتماده على نفسه حيث عمل في الاحتطاب والتجارة لإعالة نفسه ومساعدة الآخرين ، ثم التحق بالشيخ القرشي ود الزين عام (1878م وحتى عام 1880م) ثم عاد إلى الجزيرة أبا ليتخذها مقراً للتعبد والتعلم والتعليم فذاع صيته بين المريدين والمتصوفة، ولا شك أن هذه التربية والتجربة الصوفية الدينية قد تركت اثراً بالغاً في حياته من زهد وحسن خلق، وكان للتربية الدينية أثر واضح في شخصية وطريقة تفكير محمد أحمد المهدي، يقول عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن في دراسته حول الشخصية السودانية :" ربط محمد أحمد بن عبد الله بطبيعة نشأته الدينية وتعليمه وفكره ونزعته ومعتقداته الصوفية العميقة، التي كانت تؤمن بالكرامات والبشارات والرؤى الصادقة ودرجات الأولياء الصالحين وحضرات الأنبياء، بعد أن رأى ما آلت إليه أحوال السودان ، كل ما ألم بالإسلام والمسلمين وبالبشرية من ضعف وتدهور بالحكم التركي المصري واعتبره المسؤول الأول... واتخذ المهدي لنفسه دور المصلح الديني ونادى بضرورة السعي لإصلاح جميع أحوال البلاد الدينية والسياسية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في السودان آنذاك، بعرض أفكاره

ومفاهيمه الدعوية وإبرازها في إطار عام ومقبول لعموم أهل السودان آنذاك، أساسه انه المهدي المنتظر المكلف من قبل المولي عز وجل، بالقضاء على الحكم التركي وتأسيس دولة إسلامية ...».

عوداً لهذا السفر العلمي الماتع للمؤرخ الحاذق الدكتور عبدالله على إبراهيم وحتى لا يتسرب من بين أيدينا موضوع إتكاءتنا، نقول إنه يصلح كمادة أولية لطرح المزيد من الأسئلة البحثية والعلمية، وخاصة أن المكون المعرفي للإمام المهدى يحتاج لمزيد من التوضيح لأن عناصر معرفته لم تتعدى التعليم التقليدي في الخلاوى والجهد الخاص، لأن رؤيته الواسعة والجريئة في مشروعه الإصلاحي الديني يشير بالضرورة إحاطة بما يدور من مشاريع إصلاحية في العالم الإسلامي وإلي تواصل معمق مع الجهود الفكرية والعلمية في تلك الفترة، وإلى معارف واسعة، كما يطرح أسئلة جوهرية حول علاقة الدين بالسياسة في السودان.

د. عوض شبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر –السودان

16 يونيو 2025م

قراءة

3

قراءة في كتاب: «الصراع بين المهدي والعلماء»، تأليف: المؤرخ البروفيسور عبد الله علي إبراهيم، الناشر: مركز الدراسات السودانية، الطبعة الثانية 1994م - دار نوبار للطباعة- القاهرة.

يتملكني فخر واعتزاز كبيرين وأنا أقدم قراءة متواضعة لهذا الكتاب القيم الذي قام بتأليفه المؤرخ البروفيسور عبد الله علي إبراهيم - وهو غني عن التعريف - فهو ذلك الأكاديمي والمؤرخ والأديب والمفكر والكاتب الموسوعي الذي يُعد من صفوة المثقفين السودانيين - متعه الله بالصحة والعافية -، وقد كنت أتابع منذ زمن بعيد كتاباته وما زلت أتابع اهتماماته الابداعية في اختصاصات التاريخ والأدب والصحافة والفلكلور والسياسة وغيرها من ضروب الفن والأدب.

من المعروف أنّ الدعوة المهدية في وقتها صادفت إقبالاً كبيراً من معظم فئات السودانيين؛ فالأوضاع الاقتصادية والسياسية الضاغطة التي مرت بها البلاد آنذاك دفعت الناس إلى تأييد الثورة المهدية وقائدها الإمام محمد أحمد المهدي، لذلك خرج الناس يناصرون المهدي لأسباب وجيهة؛ فقد تكاثرت مظالم الدولة التركية، وقد أثقلت الضرائب كواهل السودانيين، وأفضت لمجاعات ونقص في أعداد السكان وتهجيرهم، بالإضافة إلى ضعف نظام الحكم القائم آنذاك واحتكار طغمة الحكم لمقدرات البلاد.

وقد واجهت الثورة المهدية تحديات إقليمية ومعارضة قبل انتصار الثورة رغم الالتفاف الكبير حولها، شأنها في ذلك شأن أي حركة أو ثورة تجديدية، وبعد انتصارها اتسعت المعارضة ولا سيما في سنواتها الأخيرة، واتخذت المعارضة للمهدية أشكالاً مختلفة كالمعارضة الدينية والقبلية والصراعات المختلفة وغيرها من أوجه الصراعات، وانقسم السودانيون إلى فئات، قوم ينكرون هذه الفكرة (المهدية) ويموتون من أجل ذلك، وآخرون يدافعون عنها ويبلون في سبيلها البلاء الشديد ويتوقون إلى الموت في سبيلها، على حد تعبير د. محمد إبراهيم أبوسليم؛ وأن الصراع بين المهدي والعلماء – موضوع هذا الكتاب – هو أحد جوانب الصراع الأكبر والأوسع الذي دار بين المهدي والنظام التركي المصري مما أدى إلى نجاح الثورة المهدية عام 1881 في السودان.

إن هذا الكتاب الذي بين يدي الموسوم بـ «الصراع بين المهدي والعلماء» كان في أصله رسالة ماجستير للبروفيسور عبد الله علي إبراهيم بجامعة الخرطوم وقد وجدت الإشادة الكبيرة من المناقشين والباحثين، وصدرت ككتاب لأول مرة في عام 1968 وقدم له حينها المؤرخ السوداني المعروف الراحل المقيم البروفيسور مكي الطيب شبيكة ووصفه بالبحث المبتكر، وأنه بلغ درجة قصوى من الاتقان، ولعمري إنها شهادة فخر وإعزاز، لما فيه من الجديد المبتكر الذي يجعله يستحق هذه المكانة بين كتب ومؤلفات تاريخ السودان، واحتفى بالكتاب أول صدوره الدكتور عبدالله جلاب، وأثنى عليه العالم المحقق محمد إبراهيم أبوسليم، وتقدم البروفيسور حسن أحمد إبراهيم له الرحمة والمغفرة بتزكية الكتاب لطلاب الثانوية العليا ضمن مناهج تاريخ السودان، وأردف الشاعر الحافظ خير بتزكية الكتاب ليكون إضافة نوعية لمنهج التاريخ بالمدارس الثانوية في السودان، وأثنى على الكتاب

أيضاً الأستاذ أحمد عبد الحليم والأستاذ عبدالوهاب موسى وغيرهم كثر ممن أشاد بالكتاب وقيمته العلمية، مما يدل على أن الكتاب يُعد عملاً أكاديمياً رصيناً، وجهداً علمياً مميزاً، وكسباً فكرياً ومعرفياً لا غنى عنه.

وحقيقة يُعد الكتاب من الأعمال المهمة في التاريخ السوداني، حيث يرصد المؤرخ البروفيسور عبد الله علي إبراهيم فيه العلاقة المتوترة والمعقدة بين الدعوة المهدية والعلماء في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وجاء الكتاب في مقدمة وأربعة فصول وعدد من الملاحق المهمة أضافهم المؤلف في الطبعة الثانية.

في مقدمة الكتاب تناول المؤلف نقاط جوهرية تعد الجزء التمهيدي للكتاب وقد أشار من خلال هذه المقدمة الضافية إلى تحديد مسار كتابه وإلقاء الضوء على العناصر الأساسية التي يتطرق لها من خلال فصول الكتاب، وأبرز ما جاء في مقدمته أنه حدد المقصود من كلمة «العلماء»، وقصد بهم ذلك الرهط من الرجال الذين ارتبطوا بجهاز الدولة في وظائف الإفتاء والقضاء والوعظ والتعليم الديني مقابل راتب معلوم، بالإضافة إلى بعض المشايخ الذين لا يعرف عنهم اندماجاً في جهاز الدولة التركية المصرية. واستخدم المؤلف مصطلح (العلماء) في جميع أنحاء الكتاب للإشارة إلى السودانيين والأجانب الذين درسوا في الأزهر وشغلوا مناصب في الإدارة التركية المصرية كمفتيين وقضاة وخطباء ومعلمين؛ ولإظهار الجانب الثقافي للصراع بين المهدي والعلماء، أشار إلى حالات بعض العلماء الذين لم يكونوا جزءًا من الجهاز الإداري، كما أشار إلى علماء آخرين لم يشكلوا جزءًا من الإدارة التركية المصرية، على الرغم من أنهم كانوا جزءًا من ممالك أخرى خاضعة لذلك النظام.

أمّا الفصل الأول فجاء بعنوان «جذور طائفة العلماء في السودان»، ابتدره بذكر نخب العلماء الذين صحبوا الحملة التي سيرها محمد على باشا لفتح السودان عام 1821م، وتناول التكوين المركزي للقضاء والافتاء الذي ربط رهطاً كبيراً من الفقهاء والعلماء بجهاز الدولة، بالإضافة إلى سياسة الإدارة المصرية التركية في التقرب والتودد إلى رجال الدين في بداية استقرارها، حتى أضحت هذه الفئة من العلماء والمفتيين والقضاة كجهاز من أجهزة الدولة التركية المصرية.

وجاء الفصل الثاني عن «العلماء والنشاط المعادي للثورة المهدية» ، وركز بصورة أساسية على الحرب الدعائية التي دارت بين محمد أحمد المهدي (1881–1885) وعلماء النظام التركي المصري (1821–1881) عندما كانت مسألة كسب الشعب إلى أي من جانبي الصراع قضية ملحة، وتناول محاصرة دعوة المهدية فكرياً بهدف عزلها وتجريدها من استجابة الجمهور المسلم، ومواكبة النشاط الدعائي والفكري للنشاط العسكري الذي اضطلع به عبد القادر باشا لإخماد لهيب الثورة المهدية (مايو - ديسمبر 1882)، وتابع في سرد تاريخي جذاب طائفة العلماء ومسلكهم العدائي تجاه المهدي إلى أن بلغ الضعف وأصاب الدولة التركية المصرية، إزاء انتصارات المهدية.

وفي الفصلين الثالث والرابع، استعرض المؤلف المناظرة الفكرية بطرفيها (المهدي والعلماء)، وأوضح أنها كانت، أي المناظرة الفكرية بين المهدي والعلماء مجالاً لصراع تقليدي بين مدرستين من مدارس التفكير الإسلامي هما التصوف والاتجاه السني الفقهي في بيئة السودان.

فالكتاب كما أشار مؤلفه لا يستوعب امتداد الصراع بين المهدي والعلماء بعد انتصار الثورة، كما أنه تجنب تناول موقف العلماء البعيدين عن طائفة

العلمـاء بالجهـاز الحكومـي إلا مـا اضطـره في توضيـح أثـر المنابـع الثقافيـة وغيرهـا.

عمومـاً يُعـد الكتـاب عمـلاً أكاديميـاً رصينـاً، وجهـداً علميـاً مقـدراً في سـجل المؤرخ البروفيسـور عبـد اللّٰه علـي إبراهيـم إضافـة إلـى إنتاجـه العلمـي الغزيـر، فقـد قدمـه بطريقـة جديـدة مبتكـرة في السـرد، وركـز علـى جوانـب تاريخيـة لـم تطـرق مـن قبـل ولـم تتناولهـا الكتـب التاريخيـة بهـذه الجـرأة والشـجاعة؛ ويُعـد هـذا الكتـاب بحـق إضافـة مهمـة في مجـال الدراسـات التاريخيـة والتوثيقيـة. وأحسـب أن هـذا الكتـاب يمكـن أن يكـون مقـرراً ضمـن مناهـج تاريـخ السـودان الحديـث في مراحـل التعليـم الثانـوي والجامعـي.

ختامـاً نهنـئ المـؤرخ البروفيسـور عبـد اللّٰه علـي إبراهيـم علـى هـذا الإنجـاز العلمـي.

د. صلاح التوم إبراهيم

باحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان)

كسلا- السودان

الجمعة 13 يونيو 2025م

قراءة

4

قراءة في كتاب «الصراع بين المهدي والعلماء» تأليف دكتور عبد الله علي إبراهيم تقديم دكتور مكي شبيكة، دار نشر هيئة الخرطوم للصحافة والنشر السودان الخرطوم، الطبعة الثانية القاهرة 1994م.

ابتدر الكتاب بتصدير لمقدم الكتاب د. مكي شبيكة أوضح فيه قيمة الكتاب وأهمية موضوعه وبين المجهود الكبير الذي بذله مؤلف الكتاب مؤكداً أن الكاتب قد بلغ درجة قصوى من الاتقان وفي تفصيل وتحليل ما يستحق كل ذلك في جوانب البحث المختلفة الأمر الذي جعل بحثه الأول من نوعه.

وعن الكتاب فقد بدأ الكاتب حديثة في الكتاب بمقدمة شارحاً فيها ما يعنيه بلفظة العلماء واصفاً المرجعيات الفكرية والثقافية التي كان عليها أولئك العلماء ومبيناً أن هذه المرجعيات المتباينة حتمت عليه مناقشة الفصول التي تضمنها الكتاب بشيء من الحذر لما ينتابها من صعوبة تأتّت من واقع اختلاف مشارب العلماء أنفسهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية.

وقد تم تقسيم الكتاب لقسمين جاء القسم الأول في أربعة فصول، أما الفصل الاول للكتاب والذي جاء بعنوان: جذور طائفة العلماء فقد أعطى فيه الكاتب تصوراً رائعاً عن الأحوال العامة التي كان يعيشها العلماء في سلطنة الفونج حيث كانوا يتمتعون بكاريزما خاصة تنطلق من واقع المكانة المرموقة التي يحظى بها العلماء لدى سلاطين الفونج وكيف أن سلاطين الفونج يكنون التقدير الكبير للعلماء وأنهم لا يكادون يتخذون

قـرارات تتعلـق بمصيـر الدولـة في السـلم والحـرب دون الرجـوع إليهـم لأنهـم كانـوا يعتقـدون صلاحهـم بوصفهـم أوليـاء اللّه فقـد كان هـذا الاعتقـاد قاهـراً لدرجـة متقدمـة غيـر أن هـذا الاعتقـاد سـرعان مـا يتقهقـر في بعـض الأحيـان وينـزوي الانصـراف عنهـم وعـدم الاعتـداد بهـم ومـرد ذلـك بحسـب مـا ذهـب إليـه ناجـم عـن التدهـور الـذي أصـاب مملكـة الفونج مـن انحـدار للمفاسـد.

وبالتالـي فهـو يعتقـد أن هـذه البنيـة مـا كانـت لتسـتمر في ظـل الحكـم التركـي ذلـك لأن الدوافـع الاقتصاديـة والسياسـية للحكـم التركـي تقتضـي وجـود بيئـة مختلفـة تتوافـق مـع هـذه الأهـداف وبالتالـي فـإن الأتـراك قـد رفـدوا البـلاد بعلمـاء مـن صنيعهـم يعملـون علـى التماشـي مـع أجندتهـم الأمـر الـذي أفـرز وضعيـة مختلفـة تمامـا مـع مجـيء المهديـة فـكان مـن الطبيعـي أن تلقـى الثـورة المهديـة منهـم معارضـة لأنهـم ببسـاطة هـم جـزء مـن الكيـان المهـزوم والمنتهيـة صلاحيتـه في الحكـم، فـلا يمكـن أن تجـد منهـم المهديـة تأييـداً بـأي حـال.. هـذا فضـلاً عـن الاختـلاف المذهبـي التقليـدي المتمثـل في الصـراع القائـم بـين الفكـر الدينـي المنضبـط والمتـزن والمفـروض وبـين الفكـر الدينـي القائـم علـى التصـوف والـذي تشـوبه بعـض الاتجاهـات الخلافيـة بحسـب رؤيـة أصحـاب المذهـب الأول فضـلًا عـن سـعي المهـدي بـل تطبيقـه لمبادئـه بحسـب رؤيتـه هـو كونـه مصلـح متصـوف متبنـي الطريقـة السـمانية التـي نشـأ عليهـا. كل هـذا أفـرز طبيعـة عدائيـة بـين المهديـة وأولئـك العلمـاء.

ولعـل اللفتـة البارعـة التـي تحسـب للمؤلـف هـي عـدم جنوحـه لمناقشـة دور العلمـاء وموقفهـم مـن المهـدي والمهديـة في الفتـرة التـي تلـت انتصـار المهـدي علـى الأتـراك وقيـام الدولـة فهـو رأى أن يقتصـر نقاشـه علـى فتـرة الثـورة فقـط ولعلـه أراد أن يجعـل الصـراع بـين طرفـين متكافئـين بصبغـة مشـابهة. أمـا وقـد

قامت الدولة فلم يعد العلماء مهما بلغ تأثيرهم نداً للمهدي والمهدية الذي أصبح في يده عصا السلطة.

جاء الفصل الثاني للكتاب بعنوان «العلماء والنشاط المعادي للثورة المهدية» وقد بين فيه الكاتب أن العلماء بوصفهم جهازاً من أجهزة الدولة التركية كان طبيعياً أن يؤدوا الدور المناط بهم في الدفاع عن الدولة بكل السبل تارة بإصدار الفتاوى التي تقضي ببطلان دعوة المهدي وتارة بإصدار منشورات تحوي تكذيباً للمهدي وبثها للجمهور على نطاق واسع وتارة بالمشاركة في الأعمال العسكرية لبعض قيادات التركية، وذلك من خلال التعبئة التي تهدف إلى رفع معنويات الأهالي للمشاركة في الحرب وغيرها من الأساليب المختلفة للدفاع عن الحكم الذي أخذ يتهاوى ويتأهل للزوال؛ وفي خضم ذلك يذكر الكاتب أن بعض العلماء قد وجدوا العذر للمهدي لما يقوم به واعتبروها حالة جذب روحي وأنه سيعود إلى رشده آجلاً أو عاجلاً ولكنهم بالجملة لم يختلفوا في موقفهم عن غيرهم من العلماء تجاه المهدي شخصياً، فجميعهم أوصوا بضرورة إلقاء القبض عليه لقطع دابره قبل أن يستفحل أمره.

ولما كانت الناحية الدينية لم تكن هي المرتكز الأول والأخير الذي قامت عليه الثورة فلا عجب أن تذهب كل محاولات العلماء لتأكيد بطلان الدعوة والثورة المهدية أدراج الرياح لذلك وحينما تأكد لهم حتمية انتصار الثورة بدأوا يتساقطون الواحد تلو الآخر ويتنصلون عن الدفاع عن الدولة التركية ويشقون عصا الطاعة لها ويهبون لتأييد المهدي والمهدية وإعلان الولاء لها لأنهم تأكدوا أن جهودهم في حرب الافتاء والدعاية الفكرية لن توقف عجلة الثورة فالواقع الموضوعي والاجتماعي كان أقوى من كل نشاط وهمة يضطلع بها العلماء لأن ذلك الواقع كان يبشر بحتمية انتصار الثورة.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان «المناظرة الفكرية (أ) العلماء» وقدر رأي مؤلف الكتاب أن موقف العلماء العدائي من الثورة المهدية لم يكن ينطلق من كونهم جزء من جهاز الدولة التركية فقط وكذلك لم ينطلق من المكانة المرموقة التي كانوا يتمتعون بها فيها وإنما كانت هناك عوامل أخرى أعمق أثراً تتمثل في الخلفية الثقافية لأولئك العلماء بحكم تكوينهم الأزهري القائم على التأهيل السني والفقهي، فكانت فكرة المهدية بالنسبة لهم تحدياً لكل أسس ذلك التكوين فتصدوا لها بالعداء وبالدحض والازدراء، ويؤيد ذلك أنه ومن خلال منشوراتهم أي العلماء ومناقشاتهم الفكرية ضد دعوة المهدي لا نجد دحضاً لشأن المهدي كفكرة وكتصور وكعقيدة وإنما جهودهم كلها كانت تسعى لتكذيب محمد أحمد المهدي بالذات ونفي صلته بما ورد في الحديث من علامات وإشارات المهدية ما ينبئ بأن المسألة بينه وبينهم كانت شخصية وأن الصراع بينه وبينهم قد غلب عليه التنافس والغيرة إن صح التعبير أو بالأحرى أن الصراع كان بين مدرستين من مدارس التفكير الإسلامي هما التصوف والاتجاه السني الفقهي في بيئة السودان بخصائصها النوعية ففيها ارتبط الاتجاه السني الفقهي الوافد بجهاز الدولة وحظي برعايتها وعطفها ومن جهة أخرى ورث السلوك الصوفي تقاليد راسخة لوّنت الذهن الشعبي المسلم بأخيلة وأساليب في المعرفة واتجاه في السلوك صُممت للاستجابة لصوت صوفي أكثر من الاستجابة للصوت النافذ إليها من بطون كتب السنة والفقه.

وجاء الفصل الرابع بعنوان «المناظرة الفكرية (ب) المهدي» وقد أوضح فيه مؤلف الكتاب صورة تكاد تكون موجودة حتى يومنا هذا، ففي معرض المقارنة بين الصوفي والفقيه نجد أن وجدان الجمهور السوداني وعاطفته كانت دائماً تقف إلى جانب الصوفي على اعتبار أن دليل كرامة الصوفية

أقوى وأسمى من دليل الفقه. وقد اعتمد المهدي في دعايته لإثبات مهديته ومواجهة الدعاوي التي ترمي إلى تكذيبه على هذه الناحية الوجدانية للشعب السوداني الذي ربته الطرق الصوفية على نحو كان لصالح فكر المهدي ومهديته، ذلك فضلاً عن ناحية أخرى مهمة استفاد منها المهدي وهي سيرة الحكم التركي وممارساته الجائرة في حق الشعب السوداني من فرضه للضرائب التي أثقلت كاهل الشعب والقسوة في جمعها والرشوة والاختلاس إذ عزف المهدي بشدة على هذا الوتر الحساس، وبذلك فقد سوغ محمد أحمد لنفسه الخروج على السلطان على أساسين: أولهما خروج الأتراك على الدين واستبدادهم بالأمر وحكمهم بغير شريعة الله ورسوله مما أرهق الأهالي وأضر بهم أبلغ الضرر. وثانيهما: في اعتراضهم سبيل دعوته كإمام ومحاولتهم إطفاء نور الله الذي يعمل على بثه وتنوير الحياة به والشيء الراسخ عنده أن لا ولاء ولا طاعة لأحد من بعد ظهور الإمام. إذن فالمهدي تفوق على العلماء من منطلق كونه كان يخاطب وجدان الجمهور ويستثير أذهانهم ويلهب عاطفتهم في وقت كان فيه العلماء يستميتون في الدفاع عن جهاز الدولة المتهالك الذي لم يعد في نظر هذا الجمهور سوى كونه نظاماً يورثهم الفاقة والتعذيب والذلة.

وقد ختم هذا الجزء الأول من الكتاب بملاحق هي عبارة عن رسالتين، الأولى: رسالة السيد أحمد الأزهري في تكذيب دعوى محمد أحمد المهدي. والثانية: رسالة السيد محمد المهدي بن عبد الله إلى أحبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه، ولعل القارئ للكتاب سيدرك مغزى وضع هذه الملاحق في هذا الموضع من الكتاب بالذات فالرسالتان قد لخصتا بصورة جلية القضية الأساسية التي يدور حولها موضوع الكتاب وهو الصراع بين

المهدي والعلماء على أن ذلك إن دل على شيء إنما يدل على فهم المؤلف لطبيعة تخصصه وما يمكن أن ييسر للقارئ مسألة المادة العلمية التي يتضمنها الكتاب.

الجزء الثاني من الكتاب جاء بعنوان المهدية والكبابيش نحو مشروعية للمعارضة وقد خص المؤلف الكبابيش تحديداً بالذكر في مسألة معارضة المهدية من واقع الحالة الخاصة التي كانوا عليها في ظل الحكم التركي لذلك فإن المؤلف قد أنزلهم منزلة الدولة نفسها في فعل المعارضة للدعوة المهدية وفي الدفاع عن كيان الدولة على الرغم من أنهم أي الكبابيش لم يكونوا خاضعين للحكم التركي إلا من خلال مساومات اقتصادية وسياسية بينهم وبين الحكومة جعلت منهم نداً قويا للحكومة من ناحية كما جعلت منهم قوة مدافعة عن كيان الدولة من ناحية ثانية ولقد فهم المهدي هذه الناحية فبنى خطابه لمجابهة معارضتهم لدعوته على برنامج سياسي يعرض للخاضعين لأرستقراطية الكبابيش أفقاً للتحرر منها ومن علاقات التبعية لها وللتحالف مع المهدية التي عززت مصالحهم في إطار السياسات المحلية لمنطقتهم.

يُعد هذا الكتاب من أميز الكتب التي تتناول تاريخ المهدية باختلاف توجهاتها فهو يُعد كتاباً شاملاً رغم عنوانه المقتضب فقد عالج وناقش العديد من القضايا المتعلقة بالمهدية منذ كانت فكرة حتى تبلورت وأصبحت ثورة ثم ما لبثت أن أصبحت دولة، كما وأنه أجاب على العديد من التساؤلات التي تراود الكثير من المؤرخين والدارسين والمهتمين بتاريخ الدولة المهدية المتخصصين منهم والهواة ولعل أهم ما يميز هذا الكتاب لغته المتزنة

السهلة الواضحة المعبرة والتي يقف وراءها مؤلف فذ عملاق ذو معرفة غزيرة ودراية واسعة بتفاصيل الأحداث ودلالاتها فصبها صباً بسخاء في كتابه الذي استحق أن ينال لقب الأول من نوعه والفريد في أسلوبه والمحكم في ترتيبه.. فلله دره من مؤلف.

د. نبيل رابح آدم سعيد

جامعة كسلا

يونيو 2025م

قراءة

5

قراءة فى كتاب: الصراع بين المهدي والعلماء

جذور طائفة العلماء والنشاط المعادي للثورة المهدية (دعاوى ودفوعات)

لقد شهد سودان أواسط القرن التاسع عشر حالة صراع وأزمة اجتماعية طاحنة متعددة الأبعاد قامت بتوثيقها كثير من الوثائق والمراجع والكتابات وحتى السير الذاتية وغيرها ... كان تشعب أبعاد تلك الأزمة السبب فى وصفها بالشمولية، أي أزمة طاحنة شاملة جميع مناحي الحياة، ذات أبعاد سياسية، واقتصادية ديمغرافية واجتماعية نفسية كاملة. لا نستطيع تحديد أي منها أتى أولاً، لكنها كانت وثيقة الصلة ببعضها البعض ومتداخلة، تضافرت جميعها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ممهدة لقيام الثورة المهدية. إلا أن البعد الإجتماعي النفسي قد أخذ حيزاً كبيراً من تلك الأزمات.

شهدت دولة الفونج ازدهاراً واسعاً لنشاط الطرق الصوفية وكان للمشايخ الصوفيين مكانةً كبيرةً فى القصر السلطاني، وقامت العلاقة بين المتصوفة وملوك سنار على دعامتين إحداهما النفوذ الروحي الذي مارسه المتصوفة على الملوك كما على العوام، وثانيهما القيام بمصالح الناس، حيث أصبح للمساييد مكانة اجتماعية ورسالة تجاه الصحة والتعليم ورد المظالم. هذا غير نظرة عامة الناس إليهم باعتبارهم أولياء صالحين أصحاب كرامات

ومعجزات، بينما لم يجد العلماء السنيون الأزهريون مكانة فى ذلك المجتمع. وغالباً ما شهد المجتمع مساجلات يفوز فيها غالباً الفقيه الصوفي على العالم السّني استناداً إلى الكرامات والخوارق الصوفية.

وفى ظل نظام الحكم التركي المصري بدوافعه الاقتصادية والإستراتيجية الواضحة من غزو السودان وما يستوجب ذلك من إدارة مركزية قوية تمكن له من تنفيذ أغراضه ومقاصده، كان طبيعي أن تتعرض العلاقة بين الدين والدولة فى سودان الفونج لهزة اجتماعية مرد ذلك نشوء علاقة جديدة تتلاءم مع طبيعة النظام الحاكم، الذي اعتمد على طائفة العلماء السنيين، مهملاً لطائفة الفقهاء الصوفين مجرِداً إياها من قداستها وهيبتها التى أخذتها بعزوفها عن السلطة وقيامها بالشفاعة للمظلومين عند السلطان.

فأصبحت العلاقة القائمة بين الحكومة الجديدة والعلماء فى إطار محدد هو القضاء والإفتاء، وأن يدفع لهم مكافآت محددة مقابل ذلك العمل. كما اقتطعت لهم اراضي معفية من الضرائب، ومرتبات شهرية. نتج عن ذلك انقسام فى الحياة الدينية بين طائفة العلماء (القضاة والمفتيين والمعلمين) وبين طائفة الصوفية الفقهاء غير الرسميين في نظر الحكومة ذات النفوذ الواسع. الفئة الأولى من العلماء هم من استخدمتهم الإدارة الجديدة للوقوف فى وجه الإمام المهدي فيما يعرف بالصراع بين المهدي والعلماء.

عملت الإدارة التركية على توسيع وتمكين نفوذ العلماء السنيين الأزهريين بأن فتحت الرواق السنارية في الأزهر الشريف واغدقت عليهم الصرف. تقوية هذه الفئة أصاب السلطة الدينية التقليدية للصوفية بمهددين أولهما: أن نظام المحاكم الشرعية الذي انشأه الغزاة كان يعني نهاية القضاء القبلي، وثانيهما: هو أن مجيء العلماء الأزهريين شكل خطراً على مركز طبقة

الفقراء ونظمهم الصوفية. لذلك أصبح الصراع بين الصوفية والعلماء امراً حتمياً ظل محدداً ومحكماً للعلاقة بين الإثنين على مختلف مراحل تاريخ السودان.

تلاشي الخط الحاجز والمسافة بين السلطة والفقهاء والذي كان يحفظ للمتصوفة هيبتهم بإظهار زهدهم في السلطة لدى العوام وقيامهم بدور الشفاعة لهم عند السلطان من باب رد المظالم، تلاشي هذا الخط واندغام طائفة العلماء في جهاز الدولة المركزي الجديد، وضع هؤلاء العلماء في موضع اليد المنفذة للسيطرة على المجتمع وعامة الناس، وهو أمر منافي لدور الفقهاء من قبل؛ إذا كانوا يقومون بدور المراقب للسلطة بالنصح والإرشاد والشفاعة ورد المظالم. هذا الأمر ساعد في أبعاد الشُقّة بين العلماء والمجتمع وأصبح هؤلاء العلماء فى زمرة الحكومة ويحسبون عليها، لأنهم منفذين لمشيئتها، مصدرين للفتاوى التي تتماشى مع مصالحها.

لذا عند ظهور الإمام محمد أحمد المهدي بدعوته عارضه هؤلاء العلماء لأنهم يمثلون بوق السلطان، وللمحافظة على المكاسب التي حصلوا عليها مع النظام القائم. وقد نبع المسلك العدائي للمهدية من منطلقات الدفاع عن وحدة المصير المشترك بينهم وبين النظام القائم، إذ أي تهديد له يمثل تهديداً لهم ولمصالحهم.

وقد رد عليهم الإمام المهدى في المنشور الذي وجهه إلى العلماء والفقهاء وعامة الناس فى مدينة الأبيض، موضحاً بأن المهدية هي إلهام رباني وهي أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهي خلافة كبرى هجمت عليه من الله ورسوله، وأن حقيقة مهديته لا يهتدي إليها إلا الأولياء والعارفين الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلى الله عليه وسلم.

المهدية والمهدي في إطاره العام لا اشتراطاته وتفاصيله الخاصة، كان هو ما سامه وطلبه المجتمع السوداني وجمهور الأتباع والمريدين وعامة الشعب منذ ما قبل 1881م. فهم قد رأوا فيه المخلص والهادي في ظل سلطة مسلمة (التركية المصرية) تسومهم سوء العذاب بالضرائب الباهظة وتفرق بينهم، وتصادر مواردهم ومنتجاتهم. ومع وضعنا فى الاعتبار الوجدان الصوفي للشعب السوداني، وأخبار قرب ظهور المهدي في الشروق، وهو مخلصهم من الظلم والفساد ومجدد الدين، سلمنا بأن المهدي كان يخاطب جمهوراً قد نضح عنده الوعي والفكر الثوري من حيث الشرعية الفكرية والاجتماعية، معلناً ومؤكداً لمهديته، رافعاً لراية الزهد وتحكيم القرآن والسنة، لإنهاء انحطاط القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع منهياً دولة الترك، مستدعياً كل الأخْيِلة والتصورات الصوفية الراسخة في الذهن الشعبي ومن أميزها، ألا وهي الحضرة النبوية الشريفة كأساس شرعي لدعوته، لذا ما كان ينفع وعظ أو خُطَب علماء السلطان أو استنجاد الإدارة بهم لإصدار فتاوى تكذيب المهدي تنفع أو تؤتي أكلها أمام هذا التيار الثوري الجارف، مما يعني فشلها التام ومنذ الوهلة الأولى.

وفق الدكتور عبد الله علي إبراهيم في كتابه الصراع بين المهدي والعلماء والذي يُعد من أميز الكتابات التي تناولت تلك العلاقة، في جعله اللبنة الأساسية للدراسات الفكرية في المهدية، وعتبة لا يمكن تخطيها في هذا المضمار الفكري.

أهم ما يميز سفره القيم أنه نظر إلى ثورة المهدي كحق مشروع لحمل السلاح في حين تعذر النصح والإرشاد والهداية للحكام ليتخلوا عن الظلم والطغيان.

هـذا الصـراع بـين المهـدي والعلمـاء، لا يخـرج عـن كونـه صـراع فكـري أبـدي طويـل الأمـد، منـذ فجـر الدولـة الإسـلامية، بـين الفكـر التقليـدي السّـني، وهـو مـا يمثـل رؤيـة الدولـة، وبـين فكـر غيـر رسـمي شـيعي أو صـوفي، نمـا بعيـداً عـن أعـين وهيـكل الدولـة.

د. يسرية موسى أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، المشارك.

جامعة كردفان.

17 يونيو 2025م

إحالات مرجعية:

- عبد الله علي ابراهيم: الصراع بين المهدي والعلماء، مركز الدراسات السودانية، دار نوبار للنشر 1994م.
- مذكرات يوسف ميخائيل: تحقيق أحمد ابراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2017م.
- ريتشارد هـ. يكيجمان : مهدى السودان، القيادة الكارزمية فى الإسلام، ترجمة موسى عبدالله حامد، دار المستقبل الدولية 2025م .
- جاي اسبولدنق : عصر البطولة فى سنار، ترجمة أحمد المعتصم الشيخ، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، 2010م.

قراءة

6

يتناول كتاب (الصراع بين المهدي والعلماء) للمؤلف الأستاذ الدكتور عبد الله علي إبراهيم، دراسة تحليلية معمقة للعلاقة الجدلية والتصادمية بين الحركة المهدية بزعامة محمد أحمد المهدي وبين المؤسسة العلمائية التقليدية في السودان خلال القرن التاسع عشر. يهدف الكتاب إلى الكشف عن الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية لهذا الصراع، مسلطاً الضوء على طبيعة السلطة الدينية والعلمية وديناميكيات التغيير الاجتماعي في سياق تاريخي محدد.

يُبرز إبراهيم أن الصراع لم يكن مجرد اختلاف في التأويلات الفقهية أو العقائدية، بل كان تجسيداً لتضارب مصالح ونظم شرعية متباينة. فمن جهة، مثَّل المهدي حركة إصلاحية جذرية تسعى لإعادة تشكيل المجتمع على أسس دينية خالصة مستمدة من رؤيته للخلافة النبوية، متجاوزاً بذلك الحدود التقليدية للسلطة السياسية والدينية القائمة. وقد اعتمد في دعوته على الكاريزما الشخصية، والدعوة إلى الجهاد، والوعد بالخلاص، مما استقطب شرائح واسعة من الشعب السوداني.

من جهة أخرى، مثَّل العلماء المؤسسة الدينية الرسمية، التي كانت ترتبط غالبًا بالسلطة التركية – المصرية الحاكمة، وتستمد شرعيتها من الموروث الفقهي والاجتماعي الراسخ. لقد واجه العلماء تحدياً وجودياً من دعوة المهدي، حيث رأوا فيها خروجاً عن الأعراف الدينية والسياسية المستقرة،

واضطراباً للنظام الاجتماعي الذي يحفظ مكانتهم ونفوذهم. وقد سعوا إلى دحض دعوى المهدية من خلال الفتاوى الشرعية، والتحذير من البدعة، وتأكيد شرعية الحاكم القائم.

يُحلل الكتاب الخطاب الذي استخدمه كل طرف في مواجهة الآخر، مبيناً كيف استغل المهدي اللغة الدينية والشعبية لحشد الأتباع، بينما استخدم العلماء لغة الفقه والأصول لتقويض شرعية المهدي. كما يتناول الكتاب التداعيات الاجتماعية والسياسية لهذا الصراع، وكيف أثر على بنية المجتمع السوداني، وأدى إلى تحولات عميقة في مفهوم السلطة والدين والدولة.

يُعد هذا العمل إسهاماً قيماً في فهم تاريخ السودان الحديث، ويقدم نموذجاً لتحليل الصراعات الدينية - السياسية في المجتمعات الإسلامية. كما يفتح آفاقًا للبحث في طبيعة السلطة الدينية، ودور العلماء في التغيير الاجتماعي، وتحديات الحركات المهدوية والإصلاحية. يعتمد إبراهيم في منهجه على تحليل النصوص التاريخية والفقهية، مستخدماً أدوات النقد التاريخي والاجتماعي لتقديم رؤية متكاملة ومعقدة لهذا الصراع المحوري.

الدكتور عبد الناصر سعيد محمد البطاطي

دوعن - حضرموت

الأربعاء الموافق 18 يونيو 2025م

قراءة

7

يُعد كتاب الصراع بين المهدي والعلماء تحول نوعي في الكتابة عن تاريخ المهدية فهذا السفر يجسد أهمية كتابة التاريخ كضرورة علمية ووطنية وقومية كون التاريخ هو اكتشاف للذات وتجديد للهوية ويُعد أهم مواطن تشخيص الخطأ وتقييم تجربة الحاضر للانطلاق نحو آفاق المستقبل من أجل بناء أوطان آمنة ومستقرة وأيضاً تكمن أهمية هذا السفر القيم لتميز مؤلفه البروفيسور عبد الله علي ابراهيم فقد اجتمعت فيه صفات المؤرخ باني الحضارة وصانع الحياة وقد أسهم من خلال كتاباته التاريخية في تجسيد أهمية الفكر التاريخي ودور المؤرخ في زيادة الوعي وتأكيد اعتزاز الفرد بأمته وكيف يمكن أن يكون ملهماً ومحفزاً للإبداع والعمل.

وتأتي هذه القراءة في إطار القراءة المتجددة لتاريخ السودان من خلال الوقوف على الأبعاد الفكرية والاجتماعية الثقافية التي ارتبطت بهذه الأحداث التاريخية وتأثيرها على تشكل الهوية والدولة السودانية فيما بعد.

أولاً: استعراض لفصول الكتاب:

فقد احتوي هذا الكتاب على مقدمتين وأربعة فصول وثلاثة ملاحق وجاء الفصل الأول بعنوان جذور طائفة العلماء وقد أشار في هذا الفصل إلي ارتباط السودان بالإطار السني الفقهي وقد كان ذلك باصطحاب حملة محمد علي باشا للسودان ثلاثة من نخبة العلماء يحاولون من خلالهم تبرير احتلالهم للسودان واقناع أهله دون إبداء أي مقاومة والخضوع لجلالة السلطان أمير

المؤمنين باعتباره واجب ديني، وقد قاد هذا الإجراء إلى تحول جوهري في شكل العلاقة التي كانت سائدة إبان حكم الفونج والممالك الإسلامية مثل تقلي والفور؛ وقد تميزت تلك الفترة بحياة دينية جمع فيها الفقهاء بين علم الظاهر والباطن افضى بهم فيما بعد لتصدر الطرق الصوفية، وقد كانت تلك الحياة الدينية نتاج لتفاعل اتجاهات مختلفة منها التصوف الفردي والموروث المسيحي والوثني و اتجاهات التبشير العلمي.

وقد ظل هذا اللون من الحياة الدينية بمنأى عن السلطة السياسية وعلى مسافة تمكنه من القيام بمصالح المسلمين.

ثم تحدث عن العلاقة بين الفقهاء وملوك الفونج حيث أنها ارتكزت علي ركيزتين اثنتين هما النفوذ الروحي للمتصوفة على الملوك والثانية القيام بمصالح المسلمين من خلال الشفاعة عند الملوك وذلك جعل (مسايدهم) ملاذ لكل صاحب حاجة والتفاف الناس حولهم جعل منهم قوة سياسية وقد استدل على نفوذهم الروحي والسياسي وتأثيرهم على ملوك الفونج وعلى القرارات السياسية والإدارية داخل المملكة بالعديد من الشواهد والأمثلة التي تدل على ذلك، وأشار إلى تباين سلوك المتصوفة في التعامل مع الملوك والسلاطين و الشفاعة عندهم وقد أرجع ذلك إلي التباين في مذاهب التصوف والزهد .

ثم تأتي الإشارة لنظام الحكم التركي المصري واستراتيجيته الواضحة من احتلال السودان والتي ارتبطت بدوافع اقتصادية وارتباط ذلك بتأسيس نظام حكم مركزي قابض يمكنه من تحقيق أهدافه؛ كل ذلك قاد الى أحداث خلل وهزة في العلاقة التي كانت سائدة في مملكة الفونج بين الفقهاء والملوك ونشوء علاقة جديدة تحقق لهم أهدافهم، فقاموا بتأسيس نظام مركزي للقضاء والإفتاء مما أدي إلى ارتباط كثير من العلماء بجهاز الدولة وأدى هذا النظام أيضاً إلى إنهاء

النفوذ الروحي للمتصوفة وهيبتهم داخل إطار الدولة، وذكر كثير من الأحداث والشواهد التي تدل على ذلك . وقد قامت العلاقة الجديدة بين العلماء والدولة على أساس حصرهم في مجال عمل واحد وهو القضاء والإفتاء وقاد ذلك بدوره إلى انقسام في الحياة الدينية، فكانت هنالك طائفة العلماء الرسمية وطائفة من المتصوفة غير رسمية، وقد عملت الإدارة التركية في بداية عملها للتقرب إلى العلماء واتبعت في ذلك بعض التقاليد التي كانت سائدة قديماً في الممالك الإسلامية مثل تمليك الأراضي وتوزيع الهبات والصدقات، ولكن بعد استقرار النظام والصعوبات المالية التي أصبحت تواجههم تم نزع الكثير من الامتيازات وأخذت العلاقة القديمة في التلاشي وحلت علاقة جديدة تقوم على وحدة المصير بين طائفة العلماء والدولة حيث اندغمت بصورة تامة في جهاز الدولة .

ثم نأتي للفصل الثاني بعنوان العلماء والنشاط المعادي للثورة المهدية. وقد تناول في هذا الفصل دور طائفة العلماء والمفتيين والقضاة في مناهضة الثورة المهدية باعتبارها أحد أجهزة الدولة التركية المصرية ومحاصرتها فكرياً بهدف عزلها وإبعادها من الجمهور، وقد قامت الحكومة تجاه ذلك بالعديد من الخطوات منها مناقشة المهدي بالحجة والمنطق وصولاً للتعبئة الفكرية على نطاق العالم الإسلامي لدرء خطر انتشار فكرة المهدية، وكذلك ألّف العلماء في السودان العديد من الرسائل التي طبعت بمطبعة الحجر ووزعت في أنحاء البلاد وقد استفاد غردون من طائفة العلماء في التعبئة والاستعداد الحربي من أجل فك الحصار على الخرطوم، وكذلك إصدار العديد من الفتاوى التي تصب في تكذيب المهدي ورفع الروح المعنوية للأهالي، وأيضاً أشار إلى أن هذا المذهب العدائي للمهدية لم يقتصر على فئة العلماء المرتبطة بالحكومة التركية بل تخطاها إلى طائفة من علماء لم ترتبط رسمياً بالحكومة التركية ومثال لذلك علماء مملكة تقلي حيث رفضوا مساعدة الملك آدم مك تقلي للمهدي واستنتج أن دفاع طائفة

العلماء عن الحكم التركي يشير لوحدة المصير بينهما، ولكن الواقع الاجتماعي والفكري والوجداني كان ضد هذا التيار مما أدى لفشله وإخفاقه في صد مد الثورة المهدية وانتهى بنهاية الحكم التركي المصري. ونجد في هذا الفصل إشارة لأسباب أخري أدت لاندلاع الثورة المهدية متخطياً الأسباب التقليدية لقيام الثورة المهدية فهنالك أسباب ذاتية وموضوعية أدت لتوفر الشروط الثورية لإنجاز الثورة المهدية، فقد ارتبطت مظاهر السخط والضجر من النظام بضعف معنوي ومادي في النظام القائم يصعب من مهمة قمع الثورة إضافة لنشوء قيادة ثورية تنظم النشاطات الثورية، ثم نجد هنالك إشارة مهمة لتغير ولاء العلماء للحكم التركي مع انتصارات المهدي وقرب سقوط الخرطوم فقد غير كثير من هؤلاء العلماء ولاءهم وانضموا إلى المهدي ومثال لهؤلاء محمد الخير أستاذ المهدي ببربر وعبد القادر قاضي جهة الكلاكلة. وثمة إشارة مهمة في هذا الفصل وهي تعلق وجدان الأهالي والمجتمعات في تلك الفترة بفكرة المهدي المنتظر ليخلصهم من الجور والفساد مما أسهم في تأييدهم للثورة المهدية وخلاصة هذا الفصل تشير إلى تغير العلاقة بين العلماء وجهاز الدولة إلى علاقة جديدة وحياة دينية جديدة انقسم فيها العلماء بين علماء سلطان ومتصوفة خارج جهاز الدولة وقد انتهي دور هؤلاء العلماء الذين ارتبطوا بجهاز الدولة بنهاية وسقوط الحكم التركي المصري في السودان.

الفصل الثالث وكان بعنوان المناظرة الفكرية (أ) العلماء. وفي هذا الفصل يتناول المؤلف طائفة العلماء التي تم تعريفها وتصنيفها فيما سبق وارتباطها بجهاز الدولة فيرجع أسباب مناهضتها للمهدية إضافة لوضعها الممتاز داخل الحكومة للخلفية الثقافية لهؤلاء العلماء نتيجة لتكوينهم السني الفقهي والاعتماد على النصوص والاستشهاد بها؛ كل ذلك جعلهم يتصدون للثورة المهدية، وقد أورد في ذلك العديد من الأمثلة التي تدل على هذا التحليل وكذلك نجد إشارة

للأزهر باعتباره مركز التكوين الأساسي لعلماء السودان في تلك الفترة وقد كان الأزهر مركزاً للاتجاه الفقهي السني. ثم تناول منحى طائفة علماء السودان من أمر المهدية وفكرتها، فقد نحوا جانباً يختلف عن بعض العلماء المسلمين فهم لم يدحضوا شأن المهدي كفكرة وتصور وعقيدة وإنما سعوا لنفي صلته بما ورد في الأحاديث من علامات وصفات وإشارات المهدي وتم ذكر دور كل من أحمد الأزهري والمفتي شاكر في دحض دعوة المهدي من خلال ذكرهم لبعض الأحاديث التي تؤكد صفات وشروط ظهور المهدي المنتظر، وكذلك تناول موقف العلماء المحافظ في الخروج على الحاكم ووجوب طاعته مستدلين ببعض الأحاديث والآيات القرآنية. ثم يخلص في هذا الفصل أن المناظرة الفكرية التي دارت بين المهدي والعلماء هي عبارة عن صراع بين مدرستين من مدارس الفكر الإسلامي هما التصوف والاتجاه السني الفقهي ولكن البيئة الفكرية السودانية كانت قد ورثت السلوك الصوفي والبعد عن الاتجاه الفكري للعلماء مما عجل بمساندتهم للثورة المهدية.

الفصل الرابع بعنوان المناظرة الفكرية (المهدي) وقد تمت الإشارة في هذا الفصل لتاريخ الصراع بين العلماء والمتصوفة منذ عهد الفونج وقد استدل على هذا الصراع بالعديد من الروايات التي تشهد على هذا الصراع، وقد أثبتت هذه الروايات أنها اتجهت اتجاهاً شعبياً يثبت قرب الناس إلى المتصوفة، وقد نحت أغلب هذه الروايات إلى نصرة الصوفي على الفقيه. وأشار إلى اعتماد المهدي على هذا الوجدان الشعبي في الترويج للدعوة المهدية وبذلك أصبح أقرب إلى الذهن والوجدان الشعبيين. وقد اعتمد المهدي على الدليل الصوفي في الرد على أحمد الأزهري والمفتي شاكر وغيرهم من العلماء، وكذلك تمت الإشارة إلى استفادة المهدي من البيئة المساندة له إضافة للأوضاع القاسية تحت وطأة الحكم التركي مما أهله ليأخذ زمام المبادرة من العلماء وتعلق

الجمهور به كمنقذ ومخلص، وأيضاً تمت الإشارة إلى أن فكرة المهدية سبقه فيها العديد من الناس مثل حمد النحلان في عصر الفونج وأيضاً انتساب المهدي للطريقة السمانية، حيث توجد فكرة وتصور المهدي من خلال كتب المتصوفة التي كانت متاحة وعلى رأسها كتاب الفتوحات المكية لابن عربي وكذلك استفادة المهدي من التصورات والأحاديث لأقطاب الصوفية حول مسألة المهدي. ويخلص هذا الفصل إلى أن الواقع الاجتماعي السوداني قبل 1881م كان يشير بالثورة وكذلك الوجدان والذهن الشعبيين كانا أقرب إلى المعرفة الإلهامية أكثر من المعرفة القائمة على النصوص الشرعية، كل ذلك أفشل حملة العلماء لدحض فكرة المهدي والقضاء على الثورة المهدية.

ثانياً: قراءة منهجية

التزم المؤلف بالقواعد المنهجية والمعايير العلمية وقد عمل على تحليل الأحداث التاريخية في إطار المجتمع الذي نشأت فيه وعدم فصلها عن سياقها التاريخي، حيث عمل على دراسة الوثائق وتحليلها ومن ثم تفسيرها، وكذلك استخدم منهج تحليلي بنيوي لفهم تشكل تلك الأفكار وعلاقتها بالواقع الاجتماعي.

ثالثاً: أفكار حول الكتاب:

يقود موضوع هذا الكتاب إلى التأمل في كيفية تكوين العقل السوداني وكيف يدور فكر الإنسان؟ وما العوامل التي تؤثر على العقل الإنساني؟ وهذا يقودنا إلى التأمل في علاقة الأفكار وتأثرها بالواقع الاجتماعي وإلى أي حد ممكن أن تتسم الأفكار بالموضوعية، فالحقيقة ظاهرة معقدة يستحيل أخذها من وجهة نظر منفردة بصورة كلية. هنالك من العلماء مثل (بيرجز) يرجع رؤية الإنسان وتصوره للعالم إلى ثلاثة عوامل هي المشهد الثقافي والمكانة الاجتماعية

والميول الشخصية. فنسق الأفكار الذي يستدمجه الإنسان وهو صغير يؤثر على سلوكه وأفكاره بصورة غير واعية. وكذلك الطبقة الاجتماعية والمكانة الاجتماعية لهما تأثير وهذا يولد صراع القيم، وكذلك المواقف الشخصية والتكوين الوجداني له تأثير أيضاً على فكر الانسان. فهذه الدوائر الثلاث لها تأثير على فكر الإنسان، وبالتالي بلوغ الموضوعية التامة في الفكر من الصعوبة بمكان.

خاتمة:

تأتي أهمية هذا الكتاب لأنه يفتح آفاقاً متسعة لإعادة قراءة التاريخ وفقاً لطبيعة المرحلة التي نعيشها فاللحظة التاريخية هذه من تاريخ السودان تستدعي إطاراً فكرياً جديداً يلبي احتياجات المرحلة، ويواجه التحديات عن طريق ابتكار أسلوب تفكير وتحليل جديد لاستقراء وتحليل الواقع الآني ومن ثَم استشراف المستقبل.

خالد بابكر محمد ابراهيم

باحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

18 يونيو2025م

البروفيسور **عبد الله علي إبراهيم** في سطور

أكاديمي وصحفي ومسرحي

أستاذ شرّف التاريخ الأفريقي والإسلامي بجامعة ميسوري، كولمبيا. حاز على إجازة الدبلوم والماجستير من جامعة الخرطوم، وحصل على الدكتوراة من جامعة أنديانا-بلومنقتن بالولايات المتحدة. درّس بمعهد الدراسات الأفريقية بجامعة الخرطوم وترأس شعبة الفلكلور فيه، وتحرير مجلة الدراسات السودانية بجامعة الخرطوم بين 1987 و1991. نال زمالة في الإنسانيات الأفريقية بجامعة نوروسترن الأمريكية لعامي 1991 و1992. انضم لشعبة التاريخ بجامعة ميسوري-كولمبيا في 1994.

سمة أبحاثه أنها ترفد من تداخل اختصاصات التاريخ والأدب والأنثروبولوجيا والفلكلور والتاريخ والسياسة، والنشر باللغتين العربية والإنجليزية، مع شغف وانشغال بالممارسة السياسية والتبليغ. ويعتني بشكل أخص بالتاريخ الثقافي على عهدي الاستعمار وما بعد الاستعمار ينهج نحو تأسيس دراساته عن التاريخ الثقافي والاجتماعي للسودان وأفريقيا على دراسات حقلية طويلة منها التي قضاها ببادية الكبابيش (1966–1970) وبين الرباطاب من مزارعي النيل الأوسط (1966 و1984) وبين قضاة الشريعة في التسعينات.

نشرت له دار جامعة نورثوسترن للنشر في 1994 كتابه عن الجماليات الاجتماعية لممارسة العين الحارة «النضل» لشعب الرباطاب ونشر مركز الدوحة للأبحاث ودراسة السياسات تعريبه في 2017، وصدر له بالإنجليزية في 2008 كتابه عن تاريخ القضائية والتجديد الإسلامي في السودان ونشر صورة عربية مصغرة له في "الشريعة والحداثة". كما نشر في معظم دوريات الدراسات الأفريقية والإسلامية بالولايات المتحدة.

وكتبه في العربية عشرات من لدن "المهدي والعلماء" (1968) إلى آخر منشوراته مصادر العنف في الثقافة السودانية" (2019). و" الثقافة السودانية: خارطة طريق" (2021). "من الثورة إلى الحرب" (2024) و" الراحلون همو: الماركسية السودانية (2024).

وينشر أعمدة يومية واسبوعية في الصحافة السودانية منذ الستينات آخرها بعنوان "مع ذلك" اليومي في صحيفة التيار بالخرطوم.

ويصدر سلسلة «كاتب الشونة: لقضايا الفكر والتاريخ». صدر منها 11 كراسة. وينعقد على صفحته بالفيسبوك حوار مع قراء عموده اليومي.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – الســودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

يُعد البروفيسور عبد الله علي إبراهيم من أميز المفكرين والمؤرخين والباحثين والكتاب في عصرنا الحالي، وذلك من خلال منتوجه العلمي والفكري والمعرفي الذي اشتمل على العديد من ضروب المعرفة مثل التاريخ، والفكر، والقصة، والمسرح، والصحافة، والسياسة. واشتهر بكتاباته النقدية والأكاديمية والتاريخية، التي أسهمت بشكل كبير في مجالات الأدب والسياسة والتاريخ، وله العديد من المؤلفات والمقالات التي تسلط الضوء على القضايا التاريخية والاجتماعية والثقافية في السودان، كما يتميز بقدرته على تحليل الأحداث بطريقة عميقة ومفيدة. ومن خلال هذا الكم المعرفي والمشوار الممتد بالتضحيات والجد والمثابرة يمكننا أن نطلق على البروفيسور عبد الله لقب المؤرخ الشامل الذي نجح طوال مسيرته العلمية والعملية في أن يصنع لنفسه وطلابه وحيرانه مدرسة خاصة به تميزت بالصرامة العلمية والجدية في الطرح والتناول الذي مكنه من التفرد على أبناء جيله من المؤرخين في محيطنا المحلي والإقليمي. من خلال تتبع إنتاج البروفيسور عبد الله علي إبراهيم نجد أن هناك عدداً من العوامل والأسباب أسهمت في تفرد تجربته العلمية وقوة تأثيره على المختصين والباحثين والمهتمين ومن هذه العوامل: تنقله في العديد من المناطق داخل السودان وخارجه، تعدد مصادره المعرفية والعلمية والفكرية، عمله في معهد الدراسات الأفريقية في جامعة الخرطوم وترأسه لشعبة الفلكلور وأيضاً رئاسته لمجلة الدراسات الأفريقية وهي واحدة من أهم المجلات العلمية التي نجحت في التعريف بالسودان وتاريخه عبر حقب مختلفة، أضف إلى ذلك العمل الميداني الذي ظهر في العديد من الدراسات التي تم نشرها داخل السودان وخارجه، كل تلك العوامل أسهمت في تميز وتفرد مدرسة عبدالله علي إبراهيم التاريخية والفكرية والتي أصبحت واحدة من المدارس العلمية التي يشار إليها بالبنان.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation